الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ١٨ يونية ٢٠٠٠

كيف سيتصرف بشار مع «وديعة الأسد»؟

لا يحدث الموت من الدوي إلاّ بمقدار ما تكون الحياة قد احدثت من التأثير والصدى. هكذا لم يكن موت الرئيس حافظ الاسد مجرد غياب اخير لزعيم عربي كبير فحسب، بل كان موتا لقيادة تجاوزت بصماتها الفاعلة والعميقة تاريخ سوريا الحديث الى تاريخ المنطقة ومحوريتها الاساسية، اي الصراع العربي - الاسرائيلي، واستطرادا الى العالم الخارجي المهتم بالمنطقة وبمحوريتها المذكورة.

وقياسا، بالسياق الاساسي، الذي رسمه الاسد لسوريا وسياسات المنطقة في مدى ثلاثين عاما، وقياسا، باسلوبه الصارم والثابت والجلود في السياسة وفي الصراعات وفي العلاقات مع الدول ومع الافراد، وبأسلوبه الاكثر صرامة في الحياة نفسها أي حياته وحياة عائلته والمحيطين به على الاقل.

وقياسا بمقاربته المعاني الاساسية للقيادة والحكم وبمفاهيمه المتعالية حيال معاني العيش الانساني واساليبه وطرائقه، وقياسا بالعلاقة الضمنية السيكولوجية بين الانسان والمبادئ، وبين القائد وهذه المبادئ، حيث بدا الثبات في نظر البعض احيانا عنادا، وحيث بدا التمسك بالموقف تطرفا، وبدا الاصرار على الحق تصلبا، وبدا التشبث بالحق الوطني والمصلحة القومية سلبية مرفوضة، وبدا الثبات عند الحق والعدل في قواعدهما ومنطوقهما القانوني سواء على المستوى الداخلي، او على المستوى الخارجي نوعا من التطرف، وبدا دعم مبدأ الحق في مقاومة الاحتلال والقهر والعدوان انخراطا في دعم الارهاب.

وقياسا بثلاثين عاما قضاها حافظ الاسد عكس التيار المفروض فرضا لخدمة اسرائيل واغراضها. وقياسا بكل الاوجه المتعلقة بفترة حكمه الطويل، أي اوجه السياسة وأوجه الحياة الشخصية والمسالك وأوجه المفاهيم، قياسا بكل هذا.. لم تكن سوريا هذا الاسبوع امام موت رئيسها وبانيها وصانع حضورها المؤثر والفاعل بعدما كانت نهبا لنزاعات السلطة والانقلابات العسكرية، حيث ان سبعة انقلابات كانت قد حصلت فيها قبل وصول الاسد الى الحكم في الحركة التصحيحية في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 1970.

ولم تكن منطقة الشرق الاوسط أمام موت الرجل المحوري في الصراع العسكري كما في القتال السلمي والتفاوضي، وامام موت الرئيس الذي ناضل حتى الرمق الاخير تحت شعار ضرورة احداث «حركة تصحيحية» في اساليب ومفاهيم التسويات والاتفاقات العربية - الاسرائيلية، وامام موت المقاتل الذي قدم للتو اثباتا في جنوب لبنان، أن من الممكن خوض الصراع مع الاسرائيليين بأسلوب الانتصارات لا الهزائم، وان من غير المستحيل ان يكون العربي هو الذي يقارع الاسرائيليين ويصارعهم لاستعادة كل ذرة تراب، كما يحصل الآن في مسألة تحديد خطوط الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب اللبناني، بدلا من ان يكون الاسرائيلي هو الذي يقارع للتمسك بأكبر مقدار ممكن من الاراضي العربية التي احتلها بالعدوان العسكري والتوسع.

ولم يكن العالم امام موت الرجل الذي طالما قيل انه «عقدة الشرق الاوسط» وانه «الرقم الصعب» في الحلول والمعادلات والسياسات والمفاهيم والمسالك وانه خط الدفاع الاخير وآخر الحراس الواقفين امام بوابة العروبة.

قياسا بكل ما تقدم لم تكن سوريا والمنطقة والعالم امام موت حافظ الاسد المدوّي بل أمام ميثولوجيا أخرى تذكر بالميثولوجيات الاغريقية التي قامت على نسيج إعجازي بين الإنسان والحياة والموت والقدر، وما بين الحياة والموت، من آلام وتضحيات وأفراح وسعادة وتعاسة وانتصارات وهزائم.

ولشد ما تجلّت ملامح هذه الميثولوجيا ظهر ذلك اليوم وعصره يوم الثلثاء الماضي، أي عندما غادر حافظ الأسد دمشق وعندما وصل إلى القرداحة (عجيب أمر الرجال الكبار.. كل الكون كان في القرداحة في شكل أو آخر). وفي كلام مختلف عندما ترجل حافظ الأسد عن صهوة الحياة التي اختارها على نمط مغاير تماماً لمسالك الرؤساء والقادة، وجعل منها قلعة للعمل والسهر والجلد والمواظبة وضع الطموح والتخطيط لمواجهة الاستهدافات الكثيرة التي تعرضت لها سوريا والقضية العربية.

لقد امضى ثلاثين عاماً في المتراس، ولم يذهب إلى فرصة ولا أخذ استراحة. ولا أحب أن يخلد إلى راحة، لا اختار فرصة أسبوعية للنسيان ولا فرصة شهرية لالتقاط الأنفاس، ولا فرصة سنوية للاستجمام. لم يسافر إلى نقاهة ولا إلى ساحة تجعله في منأى عن العمل ولو ليوم واحد، ظل واقفاً ثلاثين عاماً متأهباً ثلاثين عاماً، مقدماً «سلاحه» ثلاثين عاماً، محدقاً ساهراً ومتيقظاً ثلاثين عاماً.

هل استراح وقد ترجل الآن عن صهوة الحياة؟ لا يملك أحد جواباً، ربما ليكتمل عقد الميثولوجيا التي ارتسمت معالمها من دمشق إلى القرداحة، لكن كما ان قصص الأبطال الأسطوريين تزين حقبات التاريخ الاغريقي، ستبقى قصة حافظ الأسد زينة التاريخ السوري الحديث سواء وافق البعض أم لم يوافق. أحب أم لم يحب...

المثيولوجيا؟

جاء الرجل من القرداحة البعيدة، شغل الدنيا وملأ

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الناس ثلاثين عاما وعندما عاد إلى القرداحة البعيدة تبعته الدنيا والناس، ليكتمل عقد قدره الاسطوري في التضحية والألم والصمود والتصدي ونسج الوقائع وتوشية الاحلام، هذا الرجل الذي كان يكتب الشعر في بداياته وظل يتذوقه طيلة حياته ويجد له وقتاً وشغفاً.

والذي جعل من أسلوبه في الحياة والسلطة قصيدة عصماء.

الميثولوجيا؟

نعم. ففي القرداحة ستمضي السنون بعد السنين. لكن ستبقى في الارض والهواء والاشياء وفي الاذهان والأساطير وأوراق الشجر ووجوه البشر ملامح عصية:

لنقل انها ذلك المزيج من البطولة والقسوة والألم والأمل. أو لعله قدر الرجل الذي صار ميثولوجيا بلده وأمته.

* * *

لقد ذهب حافظ الأسد، لكن بقيت «وديعة حافظ الأسد» التي ستشكل منهاج المبادئ والمسالك التي سيحافظ عليها نجله الدكتور بشار الاسد، الذي أظهر تماسكاً ورباطة جأش وحضوراً جعلت الانطباع العام على المستويين العربي والدولي يوم الثلثاء الماضي واحداً تقريباً:

السلطة مليئة، وفي سوريا رجل يمسك زمام الأمور ولا ينقص قيادته إلا حدوث بعض الاجراءات التشريعية، التي يبدو انها تتوالى في وقتها ومواعيدها.

فقد كان لافتاً تماماً، ان تقول مادلين أولبرايت بعد اجتماعها مع بشار على هامش مشاركتها في التشييع: «ان سوريا تملك نظاماً يعمل على ما يبدو بطريقة سليمة ومنظمة (...) وان بشار يمسك بزمام الأمور في شكل جيد.

لقد تمكن من تعبئة كل المؤسسات الرئيسية إلى جانبه (...) ان انتقال السلطة يتم بسرعة فائقة وبسلاسة وبطريقة منظمة».

وعلى هذه القاعدة بدا في الأيام القليلة الماضية ان الولايات المتحدة الاميركية تراهن على الدكتور بشار الاسد لضمان الاستقرار في سوريا واستئناف المفاوضات مع اسرائيل. ففي اطار الاتصال الهاتفي بين الرئيس بيل كلينتون ونجل الرئيس الراحل قالت مصادر أولبرايت ان بشار «كان واضحاً جداً حول عزمه على المضي قدماً الى الأمام في النهج الذي رسمه والده».

وبعدما تعمدت على ما يبدو الاشارة الى «قوة عزيمته» في اطار سعي واضح الى اقامة أفضل اتصال ممكن معه، اشارت الى أنها لمست «بوادر مشجعة جداً ازاء رغبته في اتباع نهج والده الذي اتخذ قراراً استراتيجياً لصالح السلام».

طبعاً لم يكن الحرص الاميركي السريع على اقامة أفضل اتصال ممكن مع الدكتور بشار إلا من منطلق الوقائع التي أثبتت أنه الآن رجل سوريا القوي. وهو أمر لم يكن وليد سرعة أو مفاجأة، حيث أنه كان يستعد لمثل هذا الاستحقاق الكبير منذ ستة أعوام، وهو إضافة إلى خبرته العسكرية كضابط خضع لدورات الاركان، يملك خبرة سياسية جعلته يمسك بملفات قضايا دقيقة وحساسة، على قاعدة ثقافة ايديولوجية وفكرية كسبها كحزبي نشيط، وإضافة إلى كل هذا فإنه تعلم من والده أساليب العمل الجلود وتعلم من الاختصاص العلمي الذي كان منخرطاً فيه كطبيب عيون، التدقيق في أقل التفاصيل والعناية بها والتأني والتؤدة ومحاذرة الوقوع في أي خطأ، فالأخطاء في جراحة العين قد تكون كارثية والأخطاء في سياسات الوطن قد تكون كارثية، والأوطان مثل العيون وأكثر، أوليست في النهاية هي القيمة المثالية التي تحميها حدقات العيون سواء انطفأت في الشهداء أو تقدحت في الأحياء.

في دمشق يقول الكثيرون، إن الرئيس الراحل كان طياراً بمعنى انه كان يرى المشهد كاملاً من فوق، لكنه كان مطالباً بالدقة الشديدة في إصابة الأهداف. ولكن من شبه المؤكد ان الطاقم الذي سيساعد بشار في الحكم سيتعرف إلى نموذج من العمل أكثر تدقيقاً لا لسبب يتصل بطبيعة الرجل، وقد اختار هو أن يذهب إلى معالجة العين، بل لان في أولويات حكمه وهمومه مسائل تحتاج إلى كثير من الدقة. ذلك ان إعادة بناء مؤسسات الدولة في ظل مفهوم استئصال الروتين والتحجر والفساد. وإعادة بناء الاقتصاد وضخ حياة جديدة في عروق الدورة الاقتصادية شبه المجمدة يحتاجان إلى كثير من الدقة.

اما التدقيق الأشد فسيكون حتما في مقاربة مسألة التسوية حيث يكمن جوهر «وديعة الأسد»، وحيث من المؤكد أن بشار سيحرص على أن يكون للسلام ترجمة واحدة تكفل جعله مفهوماً استراتيجياً، كما قال والده في جنيف عام 1994 بعد قمته الأولى مع كلينتون.

والسلام الذي يكتسب هذا المفهوم الاستراتيجي هو كما قال حافظ الأسد يوماً: «السلام الذي يليق بتضحيات الماضي وطموحات المستقبل».

الدقة عنوان المرحلة في سوريا، والأجدى بالإسرائيليين أن يكونوا أكثر تدقيقاً، فالحديث عن «صفحة جديدة» لا يعني أبداً أن هناك بوابة إلى التسوية غير حدود 4 يونيو (حزيران) 1967، وهذا بند أساسي حاسم في «وديعة الأسد».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية